موقع علماء ودعاة الدعوة السلفية باليمن

رسالة

فضل القول في

حديث: «أنزلوا الناس منازلهم»

تأليف فضيلة الشيخ

علي بن أحمد الرازحي

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤١٨

فَصْلُ الْقَوْلِ فِي حَدِيث: (أَنْزِلُوا النَّاس مَنَازِلَهُم)

بقلم

الشيخ: علي بن أحمد الرازحي

كل الحقوق محفوظة

www.OlamaYemen.com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله -رَبِّ العَالَمِينَ-، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، أمّا بعد:

فهذا الحديث الّذي سألتموني عنه، قد اختلف فيه أنظار العلماء، فمنهم من ضعّفه، ومنهم من حسّنه، وفصل القول في ذلك إن شاء الله -تَعَالَى-:

قال الإمام أبو داود (٤٨٤٢): حدّثنا يحيى بن إسماعيل وابن أبي خلف أن يحيى بن يمان أخبرهم، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب: أنّ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مرّ بها سائلٌ فأعطته كسرة، ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة، فأقعدته، فأكل، فقيل لها في ذلك، فقالت: قال رسول الله ﷺ: (أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ).

فَصْلُ القَوْلِ فِي حَدِيث: (أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُم)

قال أبو داود: وحديث يحيى مختصر، وميمون لم يدرك عائشة.

تخريج الحديث:

أخرجه البيهقي في "الآداب" (٣٢٠) من طريق أبي داود، وبوب عليه مع أحاديث أخرى: باب قيام الرجل لأخيه على وجه الإكرام، وما يستحب من إنزال النّاس منازلهم.

ثم قال بعد سياقته: ورواه جماعة عن يحيى بن يمان بهذا الإسناد.

قلت: أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٨٢٦): حدّثنا أبو هشام الرفاعي.

ومن طريق أبي هشام أخرجه أيضاً أبو الشيخ في "الأمثال" (٢٤١) وأبو نعيم في "المستخرج" (٥٧) وأبو هلال العسكري في "الأمثال" كما في "الجواهر والدرر" (٥٦/١) وابن أبي عاصم في "الزهد" (٩٠)، وابن خزيمة في "صحيحه في السياسة" كما في "إتحاف المهرة" (٥٧٤/١٧، ٢٢٨٢١) قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن

فَصْلُ القَوْلِ فِي حَدِيث: (أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُم)

حبيب الشهيد، ومن طريق إسحاق أخرجه البزار كما في "الجواهر والدرر" للسخاوي (٥٦/١).

وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٣٧٩/٤) من طريق إسحاق بن راهوية وأبي هريرة الواسطي.

وأخرجه البيهقي في "الآداب" (٣٧٩/٤) من طريق محمد بن أيوب الحبلي كلهم (أعني: أبا هشام الرفاعي، وإسحاق الشهيد، وابن راهوية، وأبا هريرة الواسطي ومحمد بن أيوب الحبلي).

قال أبو نعيم: غريب من حديث الثوري عن حبيب، تفرد به عنه يحيى بن يمان.

وخالف من سبق ذكره ممن رواه عن يحيى بن يمان:

١ - أحمد بن أسد البجلي.

٢ - محمد بن عمار الموصلي.

٣ - مسروق بن المرزبان.

كلّهم أخرجه من طريقهم: الطبراني، ومن طريقه البيهقي في ''شعب الإيمان'' (١٠٤٨٩)، وبوب عليه: باب في رحمة الصّغير وتوقير الكبير، و ''الآداب'' (رقم٣٢٠)، (ص١٢٧-١٢٨)، وفي لفظهم: « فَأَقْعَدْتُهُ، فَقَعَدَ مَعَهَا ».

قال البيهقي رحمه الله معلقاً عليها: « إِنْ صَحَّ يُرِيدُ بِهِ خَارِجَ الْحِجَاب ».

قلت: لم تصح، وهذه لفظة منكرة.

ومن طريق أحمد بن أسد، أخرجه أيضاً الأصم كما في ''مصنفاته'' (رقم٤٩١)، (ص٢٣٧)، قال الطبراني: لم يروه عن سفيان إلّا ابن يمان.

٤ - الحسن بن إسحاق العطار، كما عند الخطيب في ''الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع'' (٧٩٧)، وبوب عليه: تعظيمه من كان رأساً في طائفته، كبيراً عند أهل نحلته.

٥ - أبو همام الخاركي الصلت بن محمد، كما عند الدارقطني في "العلل" (٣٧٤٣).

خمستهم عن يحيى بن يمان، عن سفيان الثوري، عن أسامة بن زيد الليثي، عن عمر بن مخراق عن عائشة رضي الله عنها.

وهذا الاضطراب من يحيى بن يمان، فإنّه سيّء الحفظ، لا سيما فيما يرويه عن الثّوري رحمه الله.

قال البيهقي في "الآداب" (ص١٢٨): « كَأَنَّ يَحْيَى بن يمان رَوَاهُ عَلَى الْوَجْهَيْنِ جَمِيعاً. وَبَقِيَّةُ رِجَالِ السَّنَدِ ثُقَاتٌ، إِلَّا أَنَّ حَبِيب مُدَلِّسٌ ».

وميمون بن أبي شبيب سبق أن أبا داود نص على عدم سماعه من عائشة رضي الله عنها، وقبله سئل أبو حاتم كما في "المراسيل" لابن أبي حاتم (١٦٧): (ميمون بن أبي شبيب عن عائشة متصل؟ قال: لا). وكذلك قال العراقي كما في "تحفة التحصيل" (ص٣٢٢)،

فَصْلُ القَوْلِ فِي حَدِيث: (أَنْزِلُوا النَّاس مَنَازِلَهُم)

وخالف في هذا: الإمام الحاكم، فقال في ''المعرفة'' (ص٢١٧): صحة الرواية عن عائشة أنّها قالت: (أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ).

وقال الإمام مسلم في مقدمة ''صحيحه'' (ص١٤): وقد ذُكِرَ عن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: (أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ)، كذا بصيغة التمريض.

قال ابن الصلاح رحمه الله في ''صيانة صحيح مسلم'' (ص٨٤): « فَهَذَا بِالنَّظَرِ إِلَى أَنّ لَفْظَهُ لَيْسَ لَفْظاً جَازِماً بِذَلِكَ عَنْ عَائِشَةَ، غَيْرَ مُقْتَض كَوْنُهُ مِمَّا حَكَمَ بِصِحَّتِهِ، وَبِالنَّظَرِ إِلَى أَنَّهُ احْتَجَّ بِهِ وَأَوْرَدُهُ إِيرَادَ الْأُصُولِ لَا إِيرَادَ الشَّوَاهِدِ يَقْتَضِي كَوْنُهُ مِمَّا حَكَمَ بِصِحَّتِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ قَدْ حَكَمَ الْحَاكِمُ بِصِحَّتِهِ، وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَقَالَ: مَيْمُون لَمْ يُدْرِك عَائِشَةَ رضي الله عنها. وَفِيمَا قَالَهُ أَبُو دَاوُد نَظَر، فَإِنَّه كُوفِي مُتَقَدّم قَدْ أَدْرَكَ الْمُغِيرَةَ بن شُعْبَةَ، وَمَاتَ الْمُغِيرَة قَبْلَ عَائِشَةَ رضي الله عنها ». اهـــ بتصرف يسير.

فَصْلُ القَوْلِ فِي حَدِيث: (أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُم)

ووافقه النّووي رحمه الله في شرحه وتعقبهما السخاوي فقال في "الجواهر والدرر" (ص٥٧-٥٨): وتعقبه ابن الصلاح -يعني: تعقب أبا داود- بأنّه أدرك المغيرة وهو قد مات قبل عائشة، وأشار -يعني: ابن الصلاح- إلى أنّه على شرط مسلم، وأقرّه النّووي على ذلك، وفيما أشار إليه نظر، فإن الاكتفاء بالتّعاصر محلّه في غير المدلّس، وميمون قد قال فيه الفلاس: ليس يقول في شيء من حديثه سمعت، ولم أخبر أن أحداً يزعم أنّه سمع من الصحابة. انتهى.

وصرّح غيره بأنّه روى عن جماعةٍ من الصّحابة لم يدركهم، منهم معاذ وابو ذر وعلي رضي الله عنهم، فلذلك قال أبو حاتم: إن روايته عنهم مرسلة، بل صرح أيضاً بأن روايته عن عائشة غير متّصلة، وكذا قال البيهقي: إنّ حديثه عنها مرسل، وقال ابن معين: إنّه ضعيف.

نعم، حسَّن له الترمذي حديثاً من روايته عن أبي ذر رضي الله عنه، بل في بعض النّسخ تصحيحه، وحديثه عن المغيرة خرَّجه مسلم في مقدمة صحيحه استشهاداً، وكذا أخرجه

فَصْلُ الْقَوْلِ فِي حَدِيث: (أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُم)

التّرمذي وصحّحه، وساق له الترمذي وابن ماجة عن علي حديثاً، والترمذي عن محمود بن غيلان حديث: (اتّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ) عن معاذ وأبي ذر من طريقين. قال محمود: والصحيح حديث أبي ذر، وحديثه عن معاذ: (اتّقِ اللهَ)، خرجه الترمذي أيضًا، وكذا خرج له النسائي عن معاذ حديث: (الصَّوْمُ جُنَّة)، وهو والترمذي وابن ماجة عن سمرة حديث: (الْبِسُوا الْبَيَاضَ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ).

قال بعض الحفاظ: وهذا كله مُشعِر بإدراك ميمون لعائشة، ثم إنّ الجواب عن أبي داود ممكن بأن يكون مراده أنّه لم يدرك السماع منها، وجزم ابن القيم بفساد التّعقب المشار إليه، وأشار إلى أن ميموناً كان بالكوفة، فسماعه من المغيرة لا يُنكَر، لأنه كان معه بها، بخلاف عائشة، فإنّها كانت بالمدينة، قال: وأئمة هذا الشأن لهم في ذلك أمر وراء المعاصرة، ولو كان الأمر في ذلك مع هذا الإطلاق، لكان كل من روى عن كل أحد يُحمل على الاتصال. انتهى.

فَصْلُ القَوْلِ فِي حَدِيث: (أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُم)

لكن قد قال شيخ صاحب الترجمة الحافظ الحجة أبو الفضل العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ: إنه لم يأت في خبر قط إدراك ميمون للمغيرة، وإنما أخذه ابن الصلاح من كون مسلم روى له في المقدمة عن المغيرة حديثاً استشهاداً، وقال فيه: إنه حديث مشهور.

قلت: وقد قال البزار عقب تخريجه: وهذا الحديث لا نعلمه يُرى عن النبي ﷺ إلّا من هذا الوجه، ويروى عن عائشة من غير هذا الوجه موقوفاً.

قلت: بقي أن الحديث انفرد به يحيى بن يمان عن سفيان الثوري، ويحيى بن يمان سيء الحفظ لا سيما لحديث الثوري، وكما سبق نصّ أبو نعيم والطبراني.

وأيضاً: قد اضطرب فيه على وجهين: الوجه الأول أوضحناه لك. والوجه الثاني: فيه أسامة بن زيد اللّيثي، صدوق يخطئ، وعمر بن مخراق: ترجمه البخاري في "التاريخ" (١٩٥/٦) وابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" عن أبيه (١٣٥/٦)، وابن حبان في "الثقات" (١٨١/٧) فقالوا: « عُمَر بن مخْرَاق عَن رَجُل عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مُرْسل، رَوَى عَنْهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ »، واللفظ للبخاري.

ويستفاد من هذا: أن عمر بن مخراق يرويه أصلاً عن رجل عن عائشة، وهذا ينبئ أن صواب السند السابق: عمر بن مخراق عن رجل عن عائشة. ويكون في السند عمر بن مخراق مجهول، والرجل المبهم عن عائشة، والمبهم نوع من أنواع مجهول العين، والله أعلم.

وبعد هذا: ففي سند الحديث خلاف آخر بالوقف والرفع.

قال الدارقطني في "العلل" (٣٧٤٣): يرويه أسامة بن زيد واختلف عليه فيه، فرواه الثوري، عن أسامة بن زيد، عن عمر بن مخراق، عن عائشة مرفوعاً.

ورواه أبو أسامة، عن أسامة بن زيد، عن عمر بن مخراق، عن عائشة موقوفاً، وهو الصواب، وحديث الثوري تفرد به يحيى بن يمان، عنه.

قلت: وقد سبق لك حاله، وعلى ترجيح الوقف فعمر بن مخراق مجهول ولم يسمع من عائشة رضي الله عنها كما سبق، وقد نصّ على ذلك أحمد والبيهقي.

فَصْلُ القَوْلِ فِي حَدِيث: (أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُم)

وبهذا يتّضح أنّه بهذا السّند ضعيف لا يصح مرفوعاً ولا موقوفاً، وأمّا قول السخاوي رحمه الله في "الجواهر والدرر" (١/٥٨) و"المقاصد الحسنة": « وَبِالْجُمْلَةِ فَحَدِيثُ عَائِشَةَ حَسَنٌ » غير حسن كما هو ظاهر جلي لكل ناقد.

وفي الباب عن ثلاثة من الصحابة:

الأول: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه:

قال الخرائطي في "مكارم الأخلاق" (٤٦): حدّثنا الترقفي حدثنا عبد الله بن غالب حدّثنا بكر بن سليمان أبو معاذ عن أبي سليمان الفلسطيني عن عبادة بن نسي عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أَنْزِلِ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالشر، وَأَحْسِنْ أَدَبَهُمْ عَلَى الْأَخْلَاقِ الصَّالِحَةِ).

رجال السند:

الترقفي هو عباس بن عبد الله أبو محمد، قال الخطيب: كان ثقة، ديناً صالحاً عابداً.

فَصْلُ القَوْلِ فِي حَدِيث: (أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُم)

وعبد الله بن غالب وبكر بن سليمان أبو معاذ لم أجد لهما ترجمة، ومن الخطأ قول محقق ''مكارم الأخلاق'' بأن: (عبد الله هو ابن غالب العبادي، مستور)، لأن العبادي يروي عن الصّحابة، وهذا متأخر جداً لعله يكون بعد المائتين.

وأبو سليمان الفلسطيني أنكر عليه البخاري حديثاً، نقل ذلك الذهبي في ''الميزان'' و ''المغني'' واكتفى به، ولهذا قال السخاوي في ''الجواهر'' (٥٩/١): لا يصح إسناده. وباقي السند ثقات، وابن غنم ممن لزم معاذ بن جبل ﷺ. وبأبي سليمان الفلسطيني ضعّفه الشيخ الألباني، وأفاد أنه لم يجد بكر بن سليمان.

الثاني: عن جابر بن عبد الله ﷺ.

قال السخاوي في ''الجواهر'' (٥٩/١): (رَوَيْنَاهُ فِي (جزء الغسولي) بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، وَلَفْظُهُ: « جَالِسُوا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ أَحْسَابِهِمْ، وَخَالِطُوا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ أَدْيَانِهِمْ، وَأَنْزِلُوا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ، وَدَارُوا النَّاسَ بِعِقُولِكُمْ ».

فَصْلُ القَوْلِ فِي حَدِيث: (أَنْزِلُوا النَّاس مَنَازِلَهُم)

وبنحو هذا اللّفظ عن جابر، أخرجه الديلمي في "مسند الفردوس" (١١١)، وعزاه إليه المتقي الهندي في "الكنز" (٣٢٠٤٤).

وهذه الكتب هي مظان الموضوعات والمناكير.

تنبيه: أورد الغزالي في "إحياء العلوم" الحديث بلفظ: (نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ، وَنُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى عُقُولِهِمْ).

قال العراقي في "مغني الأسفار" (١٣٣): « رَوَيْنَاهُ فِي (جُزء مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ الشخير) مِنْ حَدِيثِ عُمَر أَخصر مِنْهُ.

وَقَالَ السخاوي في "الجواهر والدرر" (١/٥٩): « الشِقُّ الْأَوَّلُ فِي الْحَدِيثِ كَمَا مَضَى، وَالثَّانِي رَوَيْنَاهُ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ حَدِيثِ ابْن الشَّخِيرِ مِنْ حَدِيثِ ابن عُمَرَ مَرْفُوعاً: « أَمَرَنَا مَعَاشِر الْأَنْبِيَاءِ أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ ».

الثالث: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فَصْلُ القَوْلِ فِي حَدِيث: (أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُم)

قال ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٤٢/٥٢٢-٥٢٣): أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك أخبرنا سعيد بن أحمد بن محمد أنا أبو حامد بندار بن محمد بن أحمد الاستر اباذي بها، نا أبو العباس أحمد بن محمد بن عمران الخفاقي، نا علي بن محمد بن حاتم القومسي، نا أبو زكريا الرملي، نا يزيد بن هارون، عن نوح بن قيس، عن سلامة الكندي، عن الأصبغ بن نباتة عن علي بن أبي طالب قال: جاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي إليك حاجة، فرفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك، فإن أنتَ قضيتها حمدتُ الله وشكرتك، وغن أنت لم تقضها حمدتُ الله وعذرتك، فقال علي: اكتب حاجتك على الأرض، فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك، فكتب: إنّي محتاجٌ، فقال علي: عليَّ بحلة، فأُتي بها، فأخذها الرجل فلبسها ثم أنشأ يقول:

كَسَوْتَنِي حُلَّةً تَبْلَى مَحَاسِنُهَا فَسَوْفَ أَكْسُوكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَا حُلَلا إِنْ نِلْتَ حُسْنَ ثَنَائِي نِلْتَ مَكْرُمَةً وَلَسْتَ تَبْغِي بِمَا قَدْ قُلْتُهُ بَدَلا إِنَّ الثَّنَاءَ لَيُحْيِي ذِكْرَ صَاحِبَهُ كَالْغَيْثِ يُحْيِي نَدَاهُ السَّهْلَ وَالْجَبَلا لا تُزْهِدِ الدَّهْرَ فِي زَهْوٍ تُوَاقِعُهُ فَكُلُّ عَبْدٍ سَيُجْزَى بِالَّذِي عَمِلا

فَصْلُ القَوْلِ فِي حَدِيث: (أَنْزِلُوا النَّاس مَنَازِلَهُم)

فَقَالَ عَلِيٌّ: عَلَيَّ بِالدَّنَانِيرِ، فَأُتِيَ بِمِائَةِ دِينَارٍ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ الأَصْبَغُ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُلَّةً وَمِائَةَ دِينَارٍ؟ قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: (أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ)، وَهَذِهِ مَنْزِلَةُ هَذَا الرَّجُلِ عِنْدِي وأفاد المتقي الهندي في "الكنز" (١٧١٤٦): أنّه أخرجه أيضاً أبو موسى المديني في كتاب " اسْتِدْعَاء اللِّبَاس مِنْ كِبَارِ النَّاسِ ".

قلت: سنده مطروح واهي.

قال الشيخ الألباني في "الضعيفة" (١٨٩٤): « هَذَا إِسْنَادٌ وَاهٍ جِدًّا، آفَتُهُ الأَصْبَغُ هَذَا، فَإِنَّهُ مَتْرُوكٌ مُتَّهَمٌ بِالْكَذِبِ، وَسَلَامَة الْكِنْدِي كَأَنَّهُ مَجْهُولٌ، وَالْقِصَّةُ تلوح عَلَيْهَا لَوَائِحَ الْوَضْعِ ».

قلت: وبقية السند فيهم القومسي مترجم في "تاريخ الإسلام" وهو مجهول، وأبو زكريا لم يتبين لي.

موقوف عن علي بن أبي طالب

فَصْلُ القَوْلِ فِي حَدِيث: (أَنْزِلُوا النَّاس مَنَازِلَهُم)

قال السخاوي في "الجواهر" (٥٩/١): روينا في " أنس العاقل وتذكرة الغافل " لأبي النرس من طريق أبي إسحاق السبيعي عن الحارث بن مضرب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: « مَنْ أَنْزَلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ رَفَعَ المؤنة عَنْ نَفْسِهِ، وَمَنْ رَفَعَ أَخَاهُ فَوْقَ قَدْرِهِ اجْتَرَّ عَدَاوَتَهُ ».

قلت: السند المذكور صحيح، لكن ينظر فيمن حذفهم السخاوي، فلا يتم الحكم المطلق بالصّحة إلّا بعد ظهور سائر السّند وسلامة نقلته من الجرح المفسد.

قلت: وبعد هذا التحرير ظهر لنا جلياً أن الحديث لا يثبت من جميع طرقه، ومن قواه فقد جانب الصواب في ذلك، لما سبق لك من إظهار العلل في هذا الحديث، لكن لا شك أن معناه صحيح، فقد كان النبي ﷺ من خلال معاملته مع النّاس يتزّل كلّ أحد مترلته، والأمثلة على ذلك كثيرةٌ، منها:

قوله ﷺ لما جاء سعد بن معاذ سيد الأوس على حمار له لما دنا: (قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُم)، فجاء فجلس إلى رسول الله ﷺ. والحديث أخرجه البخاري (٣٠٤٣) ومسلم (١٧٦٨)،

فَصْلُ القَوْلِ فِي حَدِيث: (أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُم)

وفي البخاري (٣٠٣٥) ومسلم (٢٤٧٥) عن جرير بن عبد الله ﷺ قال: « مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي »، وذلك أن جرير بن عبد الله البجلي كان سيداً في الجاهلية والإسلام.

وتعظيم الكبير في النّاس علمًا وسنًّا أو أحدهما معلوم في السّنّة النبويّة، وهو ما اشتمل عليه هذا الحديث. لهذا قال الشيخ الألباني في شريط "بدعية التفريق بين منهج المتقدمين والمتأخرين": « فِي الْحَدِيثِ شَيْءٌ مِنَ الضُّعْفِ، لَكِنْ مَعْنَاهُ صَحِيحٌ ».

قال الإمام مسلم رحمه الله قبل ذكره لهذا الحديث في مقدمة صحيحه (ص٤) بعد ذكره لأئمة الحديث وبيان مراتبهم: « وَإِنَّمَا مَثَّلْنَا هَؤُلَاءِ فِي التَّسْمِيَةِ لِيَكُونَ تَمْثِيلُهُمْ سِمَةً يَصْدُرُ عَنْ فَهْمِهَا مَنْ غَبِيَ عَلَيْهِ طَرِيقُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي تَرْتِيبِ أَهْلِهِ فِيهِ ، فَلَا يُقَصِّرُ بِالرَّجُلِ الْعَالِي الْقَدْرِ عَنْ دَرَجَتِهِ ، وَلَا يُرْفَعُ مُتَّضِعُ الْقَدْرِ فِي الْعِلْمِ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ ، وَيُعْطَى كُلُّ ذِي حَقٍّ فِيهِ حَقَّهُ ، وَيُنَزَّلُ مَنْزِلَتَهُ ».

فَصْلُ القَوْلِ فِي حَدِيث: (أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُم)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في ''شرح الأصفهانية'' (ص٤٦٧): « وَمَنْ كَانَ أَكْثَرَ صَوَاباً، وَأَقْوَمَ قِيلاً، كَانَ أَحَقُّ بِأَنْ يُقَدَّمَ عَلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ تَنْزِيلاً وَتَفْضِيلاً، قَالَتْ عَائِشَةُ: (أَمَرَنَا رَسُولُ اللّه ﷺ أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ)، وَهَذَا مِنَ الْقِسْطِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ، وَبَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، قَالَ -تَعَالَى-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ) النساء:١٣٥، وَقَالَ -تَعَالَى-: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) الحديد:٢٥».

وقال أبو أحمد العسكري في ''الأمثال'': « هَذَا مِمَّا أَدَّبَ بِهِ النَّبِيّ ﷺ أُمَّتَهُ فِي إِيفَاءِ النَّاسِ حُقُوقَهُم مِنْ تَعْظِيمِ الْعُلَمَاءِ، وَإِكْرَامِ ذِي الشّيبَةِ، وَإِجْلَالِ الْكَبِيرِ، وَمَا أَشْبَهَهُ ».

قال الصنعاني في ''التنوير'' (٤/٢٨٣): « أَنْزِلُوا النَّاسَ فِي الإِكْرَامِ مَنَازِلَهُمْ، أَي: كُلٌّ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ ».

فَصْلُ الْقَوْلِ فِي حَدِيث: (أَنْزِلُوا النَّاس مَنَازِلَهُم)

وذكر السخاوي رحمه الله عن بعض أهل العلم أنّه قال: « الْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ الْحَضُّ عَلَى مُرَاعَاةِ مَقَادِيرِ النَّاسِ وَمَرَاتِبِهِمْ وَمَنَاصِبِهِمْ وَتَفْضِيلِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْمَجَالِسِ ، لقوله ﷺ: (لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)، فَيُقَدِّم الْإِمَام فِي الْقُرْبِ مِنْهُ الْأَفْضَل فَالْأَفْضَل مِنَ الْبَالِغِينَ وَالْعُقَلَاء إكراماً لَهُمْ، وَيُعَامِلُ كُل أَحَد بِمَا يُلَائِمُ مَنْصِبَهُ فِي الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالشَّرَفِ وَالْمَرْتَبَةِ، فَإِنَّ الله أَعْطَى كُلّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَكَذَا فِي الْقِيَامِ وَالْمُخَاطَبَةِ وَالْمُكَاتَبَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحُقُوقِ، نعم، سوَّى الشَّرْع بَيْنَهُم فِي الْقِصَاصِ وَالْحُدُودِ وَأَشْبَاهِهَا، لَكِن فِي التَعَازِير يُعزَّر كُلّ أَحَدٍ بِمَا يَلِيقُ بِهِ، وَبِهَذَا الْحَدِيثِ تَمَسّك الْمُتَكَلِّمُونَ فِي التَّعْدِيلِ وَالتَّجْرِيحِ لِرُوَّاةِ الْأَخْبَارِ، لِيَتَمَيَّزَ صَالِحُهُم مِن طَالِحِهِمْ، وَاللَّهُ -تَعَالَى- الْمُوَفَّق».

وأَمْرُ إنزال النّاس منازلهم يحتاج إلى إيمان وسلامة قلب، وإنصاف وبعد عن الحسد والغمط، وتعظيم لنعم الله على عباده، مع رفيع نفس وقوة شكيمة، لأن الضعيف قد

يحسد فيترل من هو صاحب احترام ورتبة إلى غير مكانه، وغير المنصف كذلك، إلَّا أنّه قد يرفع ويشيّد بنازل المكانة، لأنّه يجمعه به بعض الأمور النفسية.

أعظم ما ينبغي أن يستفاد من نصوص الشرع في هذا الباب: إعطاء العلماء الربّانيّين المتمسّكين بالكتاب والسّنّة حقّهم في النّفوس، وزرع ذلك في نفوس النّاس، إذ هم المبلغون لما جاء عن رسول الله، وحماية جنابهم المكرم، إذ الطعن فيهم بغير حقّ من الصّد عن دين الله وسبيله الحقّ، وهكذا من يليهم من المشايخ والدّعاة وطلبة العلم النابهين.

وهكذا ينبغي لأهل العلم الّذين قد ارتفعت أنظار النّاس إليهم أن يعرفوا منازل بعضهم لبعض، ويزيحوا عن أنفسهم ويربؤوا بها عن التّنافس والتّحاسد والكبت والتّطنيش، ويلتفتوا إلى من قد فتح الله عليه ممّن جاء بعدهم، فوهبهم علوماً نافعة، وتمسّكاً بالحقّ ظاهراً، فيعرفوا النّاس على منازلهم في العلم والدّين ليكونوا خلفاً عند الحاجة، وموضع أمانة حين حاجة النّاس إليهم.

وينبغي لأهل العلم وطلبة العلم –كما أنّهم يعرفون منازل أهل الحقّ والاتّباع صغاراً أو كباراً كل على قدر مترله– أن يبينوا منازل أهل الأهواء والبدع، الّذين قد يتزيّنون للنّاس ببعض العلوم والخطب والمواعظ، ويكون ذلك العلم مصيدة للشباب الناشئ، فواجب أهل العلم أن يوضحوا للنّاس سوء طريق أهل البدع، من جميع الطوائف المبتدعة القديمة والحديثة، كالتحزّبات والأفكار المنحرفة. فرب شاب يغترّ بموعظة رجلٍ يحمل فكر التّكفير والتّفجير، فيصير بعد أيّامٍ هو المكفِّر والمفجِّر، ورب شاب يغترّ بخطبةٍ أو محاضرة رجل متحزّب من الإخوان المسلمين وأشباههم، فبعد أيّامٍ هو المتحزّب والخارج على الحاكم المسلم.

نسأل الله –سُبْحَانَهُ– أن يلهمنا رشدنا، وأن يعلّمنا ما جهلنا، وأن يوفق المسلمين لما فيه الخير لهم في الدنيا والآخرة، وبالله التوفيق.

❁❁❁

كتبه / أبو الحسن علي بن أحمد الرازحي

يوم الجمعة 22 صفر 1437 هجرية - الموافق 2015/12/4م

❁❁❁

مكتبة دار الحديث بمعبر حرسها الله وسائر بلاد المسلمين.

موقع علماء ومشايخ
الدعوة السلفية باليمن
www.OlamaYemen.com